دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	العشوائيات في المجتمع المصري: رؤية نظرية
المصدر:	المجلة الاجتماعية القومية
الناشر:	المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية
المؤلف الرئيسي:	عبدالرحيم، سعاد
المجلد/العدد:	مج41, ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2004
الشهر:	مايو
الصفحات:	25 - 57
رقم MD:	1041632
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	مصر، الجغرافيا السكانية، السكن العشوائي، التخطيط العمراني
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1041632

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

العشوائيات فى المجتمع المصرى :

رؤية نظرية *

سعاد عبد الرحيم **

يهتم هذا المقال برصد مجموعة من القضايا التى تحكم ظاهرة العشوائيات فى المجتمع المصرى ، ومن هذه القضايا تأريخ للنشأة والنطاق العمرانى من الناحية التاريخية والإيكولوجية ، ثم التشخيص الواقعى لظاهرة العشوائيات (متضمنا التعدى ووضع اليد والنسق التخطيطى العمرانى والخصائص المتدنية اجتماعيا وثقافيا) ، بالإضافة إلى صور العشوائيات وأنماطها (وتشمل صور العشوائيات النواه القديمة ، والعشش ، والمقابر ، والأحواش ، والجيوب الريفية) . هذا إلى جانب المضمون الاجتماعى والثقافى للعشوائيات (متناولا العشوائيات فى ضوء ثقافة الفقر وتحليل لساكنى العشوائيات فى ضوء هذه الثقافة) . كما يتناول المقال آليات التكيف وصور الانحراف داخل المناطق العشوائية ، وتحتوى على الظروف النوعية لانتقال السكان للإقامة بالمناطق العشوائية ، ونوعية الحياة فى المناطق العشوائية بين آليات التكيف وعوامل الانحراف .

مقدمة

يتناول البحث قضية من القضايا الهامة المطروحة على الساحة الآن ، ألا وهى قضية العشوائيات ، حيث ازداد الحديث مؤخرا ومنذ مايقرب من عشر سنوات عن هذه القضية الحيوية والملحة ، ومدى تأثيرها على المجتمع بصفة عامة ، وعلى

* ملخص الدراسة النظرية التى قام بها قسم المجتمعات الحضرية والمدن الجديدة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . وتتشكل هيئة البحث من : الأستاذ الدكتور محمود الكردى مشرفا ، والدكتورة وفاء مرقس ، والدكتورة سعاد عبد الرحيم ، والدكتور أشرف عبده ، والدكتور محمد صلاح الدين ، والأستاذة نفيسة حسن .

** خبير أول قسم المجتمعات الحضرية والمدن الجديدة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

ساكنى المناطق العشوائية بصفة خاصة .

ولاقت هذه القضية اهتماما سياسيا وأمنيا وتكثيفا إعلاميا ونشاطا ثقافيا ، وصار الاهتمام بهذه القضية يمثل الاتجاه الرسمى المعلن للدولة أمام فئات المجتمع وشرائحه ؛ سعيا وراء مواجهة المشكلة والتصدى لها .

وتم تناول هذه القضية علميا وعلى المستوى القومى ، ليس باعتبارها فقط مسألة نمط سكنى لايصلح فيزيقيا ومعماريا وبيئيا للسكن ، وإنما بوصفها أيضا قضية نوعية حياة تهم قطاعا كبيرا من سكان المجتمع المصرى ، يمثل مايقرب من الخمس ، ويبلغ حوالى ٤٦٪ من سكان إقليم العاصمة .

وعلى ضوء كونها تتعلق بالبشر ، فإن البعد الاجتماعى يمثل محورا لايمكن تجاهله فى تشكيلها ، حيث تتضافر البنية الاجتماعية مع النمط العمرانى العشوائى لتفرز نوعا من الخلل أو الاضطراب الذى ينتهى إلى نشأة تلك المناطق واستقرارها ، واتساعها حجما وحيزا وسكانا .

كما أن الرؤية الاجتماعية لظاهرة العشوائيات تصحح كثيرا من التناول الجزئى المتبع فى دراستها ، ومن ثم تساعد تلك الرؤية على توافر تشخيص واقعى للظاهرة ، يسهم فى التخفيف من حدتها ، وذلك من منطلق أن التشخيص الجيد لأى من ظواهر المجتمع – وبينها ظاهرة العشوائيات – يعد نقطة الانطلاق الحقيقية نحو الفهم الصحيح والإدراك الشامل لكافة جوانب الظاهرة ، ومن ثم الوقوف على الطريق العلمى لتصور إمكانية اقتراح الحلول المناسبة المطروحة لمواجهتها .

وفى حالة اقتراح بدائل مختلفة للتعامل مع ظاهرة العشوائيات – سواء بالتطوير أو الإزالة أو الإحلال التدريجى – فإن الأمر يتطلب الوعى الكامل بأنه من الصعب تصور وجود نمط واحد أو حتى متقارب لهذه المناطق العشوائية ،

سواء من حيث الحجم ، أو عدد السكان ، أو نمط الحياة بها ، وإنما يشهد الواقع أنماطا متعددة ومتنوعة وشديدة التباين ، لكل منها سماته وخصوصيته التى تميزه عن غيره من الأنماط .

أولا : منهجية البحث وتنقسم إلى :

١ - الهدف العام للبحث

فى إطار هذا الطرح لقضية العشوائيات كان التفكير فى اقتراح مشروع بحثى يتناول دراسة تلك الظاهرة علميا وعلى المستوى القومى ؛ من أجل التقصى الواقعى والعلمى لجذورها ، والبحث عن مسبباتها وتحليل آثارها .

ويتحدد الهدف العام للبحث فى إخضاع ظاهرة العشوائيات بالمجتمع المصرى للدراسة العلمية ؛ سعيا وراء تحليل أسباب تكونها ، والتعرف على أنماط تواجدها ، والكشف عن أساليب الحياة بها ، وطرح أهم البدائل لمواجهتها ، ويتم ذلك كله فى ضوء رؤية اجتماعية للظاهرة .

وتجسد هذا الهدف العام فى مجموعة أهداف تفصيلية ، اهتم كل منها ببعد رئيسى للظاهرة محل البحث ، وذلك على النحو التالى :

أ - البحث فى الأسباب الواقعية التى أدت إلى نمو المناطق العشوائية على اختلافها ، وذلك مرورا بتاريخ تشكل هذه المناطق على المعمور المصرى فى ضوء سياق اجتماعى ، واقتصادى ، وعمرانى مميز .

ب - تنميط المناطق العشوائية طبقا لمعايير منضبطة وشاملة ومنبثقة من واقعها الاجتماعى ، الذى يكشف عن تعدد أنماطها للدرجة التى يصعب معها رؤية العشوائيات فى ضوء منظور محدد .

جـ - دراسة نوعية الحياة لسكان المناطق العشوائية وفقا لأنماطها المتباينة ،

واعتمادا على التحليل الكيفى للظاهرة ، الأمر الذى يتطلب رصد الأساليب المجتمعية التى يتكيف بمقتضاها السكان لهذه المناطق وفقا للوعاء الثقافى المحيط بها .

د - اقتراح بدائل لمواجهة الظاهرة العشوائية ، والتى يسعى بعضها إلى ترقية نوعية الحياة (وليس إزالة هذه المناطق) ، أو ماتحاوله البدائل الأخرى من الحد من زيادة هذه المناطق وتفاقم حدودها .

٢ - المتغيرات الحاكمة

بين أهداف أى بحث وفروضه أو تساؤلاته يمكن رصد مجموعة من المتغيرات الحاكمة للتعامل مع قضية البحث ، وهى تعد فى ذات الوقت بمثابة مفردات الظاهرة محل البحث ، ألا وهى الظاهرة العشوائية . ويمكن تحديد المتغيرات على النحو التالى :

- المكان : وهو ليس حيزا بالمعنى الجغرافى الفيزيقى فقط ، وإنما يتحدد مضمونه اجتماعيا واقتصاديا وإيكولوجيا أيضا .
- السكان : وذلك بما يتصفون به من : حجم ، وكثافة ، وتوزيع ، وخصائص نوعية .
- المسافة الاجتماعية : وهى تلك التى قد تسبب اندماجا وتآلفا بين سكان هذه المناطق ، وقد تؤدى أيضا إلى الانفصال والتباعد عن المجتمع .
- المسكن : ورغم أنه لا يجسد وحده كل جوانب القضية ، إلا أنه يجسد بؤرة الاهتمام التى ترى من خلالها المشكلة .
- أسلوب الحياة : وهو يكشف - بوضوح - عن نمط التعامل اليومى مع هذه المناطق ، ويظهر البنية الثقافية لسكانها .
- اقتصاديات المنطقة العشوائية : ويمكن رؤيتها فى ضوء القاعدة الاقتصادية

للمنطقة ، والتركيب المهنى للسكان ، ومجالات الاستثمار ... إلخ .

- العلاقات المكانية/الاجتماعية : وهى تجسد - بوضوح - النسق الإيكولوچى للمكان ، وماينسجه من شبكة علاقات تبادلية بين المكان وساكنيه .
- الهجرة : ويعتبر البعض هذا المتغير بمثابة المصدر الرئيسى الذى يغذى هذه المناطق بوافدين جدد .
- المرافق والخدمات : وهى مؤشر - ضمن مؤشرات عديدة - للدلالة على وصف المنطقة بالعشوائية .
- التخطيط العمرانى : وهو الإطار الذى يراه البعض بمثابة السياج الذى يحول - إذا كان فعالا - دون ظهور هذه المناطق .

٣ - القضايا المنهجية الاساسية

وقد تناول البحث خمس قضايا منهجية هامة فى طرحه لظاهرة العشوائيات : الأولى : ظاهرة العشوائيات فى المجتمع المصرى (تاريخ النشأة والنطاق العمرانى) . وتناولت الثانية التشخيص الواقعى لظاهرة العشوائيات . بينما أوضحت القضية الثالثة صور العشوائيات وأنماطها . وأشارت القضية الرابعة إلى المضمون الاجتماعى الثقافى للعشوائيات . واهتمت الخامسة بإبراز آليات التكيف وصور الانحراف بالعشوائيات .

ثانيا : ظاهرة العشوائيات فى المجتمع المصرى (تاريخ النشأة والنطاق العمرانى)

١ - تاريخ النشأة والنطاق العمرانى

فى هذا الإطار ركز البحث على نشأة العشوائيات فى المجتمع المصرى منذ القرن التاسع عشر ، حيث تطورت المدن المصرية تطورا سريعا وبمعدلات عالية ، استحق أن يطلق عليه (الانفجار الحضرى) ، ولم يرتبط هذا الانفجار فى النمو

الحضرى بتغير فى البنية الاقتصادية كما حدث فى الغرب ، ومع اختلال عمليات التنمية والتحديث بين ريف تلك البلاد وحضرها ازدادت فجوة التقدم بينهما ، وتدهورت أوضاع الريف ، فكانت المدينة بؤرا لجذب السكان الريفيين .

وفى التأريخ للعشوائيات نجد أن "الجبرتى" يصف سكان المناطق العشوائية فى القرن التاسع عشر باسم (المساتير) . وتشير بعض الدراسات التاريخية إلى أن العشوائيات ظهرت نتيجة لحركة التطور التى سعى بها الخديوى إسماعيل إلى تجديد الطرق بالقاهرة ، فاستتبع شق طرق جديدة هدم منازل كثيرة من التى كانت تعترض هذه الطرق ، مما اضطر سكانها (و معظمهم من الفقراء) إلى النزوح إلى مناطق أخرى بأطراف القاهرة ، وبنوا أكواخا وأكشاكا كانت نواة حقيقية لظهور العشوائيات فى المجتمع المصرى ، ولجأ البعض إلى الإقامة فى منطقة الجبانات (المقابر) .

ويؤرخ لنشأة الأحياء العشوائية فى القرن العشرين بفترة مابعد الحرب العالمية الثانية ، فلم تكن مصر قبل هذه الحرب تعانى من مشكلة سكانية ، فكان هناك توازن بين القدرة الاقتصادية للفئات والطبقات الاجتماعية المتنوعة وبين ماتتحمله كل فئة من إيجاد ماينا سبها من مسكن . ومع نشوب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) ، واختفاء الأسمنت وحديد التسليح ، توقفت حركة بناء مساكن جديدة ، واستغل الملاك هذه الظروف . ومع تدهور النشاط الاقتصادى وازدياد حركة الهجرة إلى المدينة بدأ ظهور المناطق العشوائية منذ عام (١٩٥٠) . فقد شكلت أفواج المهاجرين إلى المدن الكبرى – وخاصة القاهرة – ضغطا على العاصمة ، فظهرت التعديات على الأراضى الزراعية لإقامة مساكن جديدة تستوعب هؤلاء المهاجرين ، وكانت "عزبة الدقى" أقدم أشكال النمو العشوائى فى مصر ، وكذلك عشش الترجمان التى تمت إزالتها حاليا .

ومع تدهور البنية العمرانية الحضرية فى بداية الستينيات ظهرت مشكلة الإسكان بصورة عامة ، حيث بدأت الهوة تتسع بين الطلب على المساكن والمعروض منها بسوق الإسكان ، ومن ثم لجأت الدولة إلى إنشاء الإسكان الشعبى ، والذى انتشر فى أنحاء القاهرة لحل مشكلة الإسكان فى الستينيات ، وأضحى إسكانا متخلفا فى السبعينيات ، ويمثل الآن بؤرا لمناطق متخلفة تنشأ حوله .

٢ - النطاق المكانى - الإيكولوجى للعشوائيات

وفقا لبيانات تعداد ١٩٩٦ تنتشر المناطق العشوائية فى مصر كلها بنسب متفاوتة ، باستثناء محافظتى شمال سيناء والوادى الجديد ، ويبلغ عدد المناطق العشوائية بالقاهرة ٦٨ منطقة عشوائية ، والإسكندرية (٦٩) ، وقنا (٦٧) ، والجيزة (٣٧) ، والغربية (١٣) منطقة عشوائية .

وتشغل هذه المناطق حيزا من الأرض يبلغ ٣٤٤ كم ، ويقطنها مايقرب من ١٢ مليون نسمة حتى عام ١٩٩٦ . أما إقليم القاهرة الكبرى فتظهر الإحصاءات أن نسبة الوحدات السكنية التى أنشئت بدون ترخيص أو فى مناطق لايسمح فيها بالسكن أصلا حوالى ٨٤٪ من جملة الإنشاءات من بداية السبعينيات وحتى عام ١٩٩٦ .

ويعبر المسكن (الوحدة السكنية) داخل المناطق العشوائية عن طبيعة مستخدميه ، فهم يحملون تراثهم الثقافى الخاص ببيئاتهم الأصلية الريفية معهم إلى الحضر ، فيبنون عششا وحظائر وأفرانا مماثلة لما تركوها فى بيئاتهم الأصلية .

وتتراوح مساحات الوحدة السكنية مابين ٤٠ و ٦٠ مترا مسطحا ، وتختلف حالات المبانى من مكان لآخر داخل المنطقة العشوائية ، فالمبانى الجيدة

تتركز فى الشوارع والطرق الرئيسية ، بينما تنتشر المبانى ذات الحالة المتوسطة والرديئة فى الشوارع الداخلية . ومساكن المناطق العشوائية تتميز بعدم الارتفاع ، وتختلف معها مواد البناء ، وإن كان معظمها يبدأ باستخدام مواد أولية كالطوب اللبن وأسقف الصفيح أو الخشب أو الكرتون ، إلا أن هناك وحدات سكنية تستخدم فيها الطوب والأسمنت والحديد المسلح .

وتدل الإحصاءات على أن ٤٠٪ من مبانى القاهرة المخصصة للسكن آيلة للسقوط ، وهناك مئات الآلاف من أوامر الإخلاء الإدارى التى صدرت من الجهات المختصة ، وبقيت دون توفير المساكن المناظرة ، الأمر الذى جعل السكان يلجئون إلى سكنى المساجد والمبانى الأثرية والمقابر والخيام .

وفى محاولة لحل مشكلة تهدم المساكن القديمة قامت الدولة ببناء مناطق خاصة بالإيواء ، إلا أنها تفتقد للمواصفات الفنية والشروط الصحية . فمواد البناء الرديئة وتعطل المرافق الأساسية الحيوية بالمنطقة هى من السمات الأساسية فى مساكن الإيواء التى تتخذ أشكال حجرات من الخشب "أكشاك" ، أو بلوكات أسمنتية من دور واحد ، أو بلوكات من دورين أو عدة أدوار ، وفى كل الحالات يتدخل السكان بالبناء أو التعلية أو الاستبدال ، كما حدث فى مناطق الخيام المعدة على أنها مناطق إيواء من الدولة ، فاستبدلها السكان بعشش من مخلفات البناء ؛ متعللين أن الخيام عرضة للاشتعال .

٣ - الآثار المترتبة على نشأة العشوائيات

فى هذا الجزء أجمعت معظم الدراسات الخاصة بالعشوائيات على أن الهجرة الريفية هى أحد أهم أسباب تكون تلك المناطق ، فالمدن تتركز فيها الصناعات وقطاعات الخدمات والتجارة الواسعة ، وهى قطاعات تكون دائما فى حاجة ماسة إلى مزيد من الأيدى العاملة لتوسيع أنشطتها وفعاليتها .

وتشير الإحصاءات إلى أن هناك آثارا سلبية لكل من الهجرة وسكنى العشوائيات معا ، فالحالة التعليمية للمهاجرين تغلب عليها صفة الأمية ، فما يقرب من نصف سكان العشوائيات من المهاجرين أميون ، فى حين تصل نسبة من أكملوا تعليمهم العالى بين سكان العشوائيات إلى ١٪ من إجمالى المهاجرين المقيمين بالمناطق العشوائية .

ويعانى سكان العشوائيات من الأوضاع الصحية السيئة ، حيث تنتشر الأمراض الناجمة عن ضيق المساحة السكنية وتلاصق المبانى ، وعدم تجدد الهواء ، مما يسهم فى انتشار أمراض : بعضها ناتج عن الحالة الفيزيقية للمسكن ، وبعضها الآخر ناتج عن التلوث الناتج عن عدم النظافة ، والبعض الثالث نتيجة العمل فى مهن معينة كجمع القمامة ، والعمل فى مصانع الأكياس والبلاستيك ، وبالتالى صارت المناطق العشوائية مرتعا لأمراض السل الرئوى ، والأنيميا ووفيات الأطفال ، والسرطان ، وهى أمراض ناجمة عن سوء أوضاع المعيشة .

وإذا كان هناك اهتمام من الحكومة بساكنى العشوائيات ، فيجب أن يوجه أو ينصب على التطوير الحقيقى الذى يشعر به ساكنو العشوائيات ، والذى يغير من أوضاعهم السكنية والاجتماعية والاقتصادية والصحية ، ومن ثم تظهر آثار هذا الاهتمام أو التدخل الحكومى ، بدلا من اقتصار هذا التدخل فقط على حالات العنف والإرهاب ، وفى حالات الانتخابات السياسية ، حيث يزداد الاهتمام بسكان المناطق العشوائية ، وتكثر زيارات المسئولين والمرشحين للمناطق العشوائية ، ليس بهدف خدمة سكانها وحل مشاكلهم ، وإنما بهدف ضمان الحصول على أصواتهم الانتخابية ، وبمجرد انتهاء الانتخابات ينتهى اهتمام المرشحين المسئولين بسكان هذه المناطق .

ثالثا : التشخيص الواقعى لظاهرة العشوائيات

لكى يكون هناك تشخيص واقعى لظاهرة العشوائيات لابد من التعرف على الأبعاد المختلفة التى تؤثر على هذه الظاهرة ، والمتمثلة فى التعدى ووضع اليد الذى يقوم به سكان المناطق العشوائية على الأراضى الزراعية والصحراوية المملوكة للغير ، وكذلك التعرف على التخطيط العمرانى لهذه المناطق ، وقاعدتها الاقتصادية .

١ - التعدى ووضع اليد

على الرغم من أهمية عملية التعدى ووضع اليد كآلية هامة فى تكوين تلك المناطق ، فإن الإحصاءات الرسمية لم تهتم برصد مناطق وضع اليد أو التعدى من حيث المساحة ، ولكنها اكتفت فقط برصد عدد المناطق العشوائية ، كما لم تهتم بتحديد ما إذا كانت هذه المناطق تمثل تعديا على الأراضى المملوكة للدولة أو الأفراد ، كما لم تهتم بحصر مساحة المناطق التى تمثل تعديا على الأراضى الزراعية أو الصحراوية .

وقد ظهرت فى مصر حركة لاحتلال الأراضى المملوكة للدولة فى السنوات الأخيرة لا مثيل لها ، ويمثل هذا الأسلوب فى الاستغلال العقارى نسبة ٢٠٪ من الإسكان العشوائى . ومن الأمثلة التى تمثل تعديا على الأراضى الزراعية مثال أحياء دار السلام والبساتين ، فهى أحياء نشأت على أرض زراعية ممنوع البناء عليها . ومن أمثلة التعدى على أملاك الدولة مثال حى كفر العلو المحصور داخل المنطقة الصناعية بحلوان .

وفى هذا السياق ، تجدر الإشارة إلى أن ظروف الأمر الواقع تلعب دورا فى دعم وانتشار الأحياء العشوائية ، حيث يتجمع السكان فى منطقة ما – مثل منشأة ناصر – بوضع اليد ، وما تلبث الدولة أن تصدر بشأنها القرار الوزارى

(رقم ٦٢٨ لعام ١٩٧٠) بغرض تحويلها إلى شياخة تتبع قسم الجمالية ، كذلك بالنسبة لمنطقة الأباجية ، حيث نزح السكان إليها ، ووضعوا أيديهم ، وأقاموا فيها مساكن ، مما دفع الحكومة إلى الاعتراف بها وإصدار القرار الوزارى (رقم ١١٠٠ لسنة ١٩٦٩) بشأن تحويلها إلى شياخة ، بل إن الحكومة أقامت فيها بعض المساكن الخاصة بموظفيها .

وبشكل عام ، فإن نظام وضع اليد يعتمد على الضعف أو الغياب التام لدور الدولة فى مواجهة هذه الظاهرة ، إذ يقوم واضعو اليد بوضع لافتة تفيد حيازتهم للمنطقة ، وغالبا ما يحصنون أنفسهم بمجموعة من محترفى الإجرام ؛ ليدافعوا بهم عن مناطق نفوذهم عند الضرورة . هذا وقد صدر القانون رقم ١٤٣ لعام ١٩٨١ والذى يجرم وضع اليد على الأراضى الصحراوية بعد زيادة حالات التعدى ، ومع ذلك فالتعديات مستمرة وقائمة .

وما يزيد من سهولة الاستيلاء من قبل واضعى اليد على الأراضى تعدد الجهات التى تحكم أملاك الدولة والتنازع فيما بينها ، ومن الأمثلة على ذلك عزبة الهجانة بطريق السويس الصحراوى ، والتى كانت محل النزاع بين شركة مدينة نصر للإسكان والتعمير والقوات المسلحة . وحسم النزاع بالقرار الجمهورى رقم ٥٩ لسنة ١٩٨٢ لصالح القوات المسلحة ، بعد أن كانت المنطقة متضخمة وتصعب إزالتها .

وعلى الرغم من أن هناك اعتقادا بأن أحياء واضعى اليد هى أحياء مؤقتة ، لكن فى الحقيقة أن هذه الأحياء قد وجدت لتظل قائمة ، وأنها تتخذ بمرور الأيام وجودا دائما .

٢ - النسق التخطيطى العمرانى

يمكن أن ينطبق القول على المسكن العشوائى بأنه عمارة بلا معماريين ، وتخطيط

بلا مخططين . فهذا الإسكان غير الرسمى أقامه أفراد لديهم أموال محدودة ، ونادرا ما يبنى المسكن دفعة واحدة ، بل على عدة مراحل حسبما يتوافر التمويل .

ويقوم المالك – فى أغلب الأحيان – بتصميم المبنى والاستعانة بالحرفيين فى المنطقة لإكمال البناء (نجارة ، حدادة ، سباكة .... إلخ) .

وينصب الاهتمام الأكبر فى توزيع استعمالات الأرض بالمناطق العشوائية على الوصول إلى أقصى استغلال لكل متر مربع من الأرض المتاحة للبناء بغرض السكن . ونظرا لذلك فإن الشوارع الداخلية بالمنطقة العشوائية عبارة عن فراغ طولى ملتوى ، ومجموعة من الحوارى الضيقة التى تربط المساكن العشوائية بعضها ببعض ، الأمر الذى يؤدى إلى صعوبة حركة وسائل المواصلات الداخلية .

هذا بالإضافة إلى تداخل مواقع الأنشطة – سواء التجارية أو الصناعية – مع المناطق السكنية ، وهى غالبا محلات تجارية وورش حرفية وصناعات يدوية ، وعادة ما تقع فى الأدوار السفلى من المساكن ، علاوة على عدم وجود احتياطات لمواجهة المشاكل التى تنتج بالمنطقة كالحريق وخلافه .

وتنقسم شبكة الطرق بالمناطق العشوائية إلى طرق رئيسية ، وطرق داخلية : فالقسم الأول هو الطرق الرئيسية ذات حالة متوسطة ، فهى ترابية ممهدة ، وبدون أرصفة جانبية ، والمبانى تحدد معالم الطرق بها . أما القسم الثانى فهو عبارة عن طرق ثانوية ضيقة للغاية بعضها لا يزيد عرضه على مترين فقط ، وهى طرق ترابية ، وبعضها عبارة عن أرض طينية غير ممهدة ، ومغلقة النهايات .

والمناطق العشوائية أكثر حرمانا – بالمقارنة بالمناطق الاخرى – من المرافق

العامة ، إضافة إلى عدم توافر الخدمات ، باستثناء ما شيده الأهالى أنفسهم من كتاتيب ومساجد ومدارس ومراكز صحية ومحلات تجارية لسد حاجاتهم اليومية . كما أن بناء المساكن بصورة متلاصقة يمنع عنها التهوية والإضاءة ، والشوارع ضيقة مظلمة ورطبة نتيجة هذا الضيق ، مع عدم وجود صرف صحى ، مما يجعل منها مناطق غير صحية .

وعلى النقيض ، فقد ساعد التركيب العمرانى للمقابر المصرية على انتشار ظاهرة سكنى المقابر ، حيث أشارت نتائج تعداد ١٩٩٦ إلى وجود نحو ١٨٠٥ أسرة تقيم فى أحواش المدافن ، حيث إنها تتميز بالامتداد الأفقى الكبير ، والتخطيط الهندسى الكامل ، فشوارعها متسعة ومستقيمة ومتعامدة على بعضها البعض . ويتكون حوش المقبرة من حجرتين أو أكثر ومطبخ ودورة مياه ومنطقة الدفن ، وهى غير مسقوفة ، وتتميز الغرف بالاتساع وبها المياه والكهرباء ، فضلا عن المسطحات الخضراء . وبذلك أصبحت المقابر – بما تتمتع به من تخطيط عمرانى – محط جذب للسكان الذين لم يجدوا لهم مسكنا .

ورغم عدم اعتماد المناطق العشوائية على التخطيط العمرانى فإنها أنشئت حيث توجد المياه . وليس فقط شبكة المياه العامة ، ولكن أيضا مياه الترع والآبار . أما بالنسبة للكهرباء ، فهى ليست بالأهمية ، حيث يمكن للسكان الاعتماد على الكيروسين للإنارة ، كما يمكنهم الاعتماد على الخزانات الأرضية كبديل للصرف الصحى . ولقد اعتاد سكان هذه المناطق البقاء سنوات طويلة بدون هذه الخدمات . وتشير الإحصاءات إلى أن نسبة المساكن المتصلة بالشبكات العامة فى الإسكان العشوائى أقل بكثير من مثيلاتها فى الإسكان الرسمى .

ولكى يستدل على حجم ظاهرة انتشار السكن العشوائى غير المخطط ،

والذى يفتقد لأى نسق تحليلى ، فيذكر أن عدد الوحدات السكنية المقامة خلال العام الواحد يمكن تقسيمها إلى ٨٠٪ إسكان عشوائى ، و ٢٠٪ إسكان رسمى منها ١٥٪ إسكان قطاع خاص ، و ٥٪ فقط إسكان حكومى وتعاونى .

من هنا يتضح مدى مساهمة هذا القطاع الإسكانى غير المخطط فى حل أزمة الإسكان ، رغم كل ما يحيط هذا الإسكان من سلبيات عديدة ، إلا أنه فى نهاية الأمر يعد بمثابة الملاذ الأخير للفقراء ومحدودى الدخل .

٣ - القاعدة الاقتصادية الهشة

تعتمد المناطق العشوائية – بشكل أساسى – على القاعدة الاقتصادية للمدينة ، فهذه المناطق يتوقف بقاؤها واستمرارها على حجم ماتمدها به المدينة من سلع وخدمات . ويرتكز البناء المهنى لسكان تلك المناطق على الأعمال الطفيلية التى تتطلب حدا أدنى من المهارة والتدريب ، فينخفض بذلك متوسط الدخل إلى الدرجة التى يكاد لا يلبى فيها الاحتياجات الأساسية للإنسان ، حيث يفتقر هؤلاء السكان للمؤهلات الفنية اللازمة للأعمال الصناعية ، فيضطرون للالتحاق بالأعمال اليدوية فى المشروعات الصغيرة ، أو أعمال الخدمات ، أو البيع المتجول . ومن أكثر الأعمال التى يقوم بها هؤلاء السكان هى الأعمال المعمارية ، وأعمال البيع والنقل ، بالإضافة إلى أعمال الخدمات الخاصة .

وتشكل البطالة إحدى المشكلات الرئيسية التى تعانى منها المناطق العشوائية . وتتخذ البطالة فى هذه المناطق سمات ربما تكون مختلفة نسبيا عن مشكلة البطالة لدى باقى فئات المجتمع ، فهى فى هذه الأحياء تستند إلى عدم الانتظام فى العمل ، وهامشية العمل فى كثير من الأحيان ، حيث يعمل معظم السكان فى أعمال بسيطة ومؤقتة وغير منتظمة .

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن السكان بما يتسمون به من خصائص متدنية اجتماعيا وثقافيا يساهمون فى تعزيز عدم القدرة على خلق قاعدة اقتصادية يعتمد عليها داخل هذه المناطق ، بالإضافة إلى افتقاد هذه المناطق للتخطيط العمرانى السليم الذى يجمع بين مناطق السكن والعمل فى ذات المكان بما لايتيح فرصة لمكان العمل ؛ نظرا لضيق المساحة وضيق الإمكانات .

رابعا : صور العشوائيات وانماطها

النمط عبارة عن مساحة من الأرض جامعة مانعة ، يوجد بها عملية اختزال وموازنة وتشابه فى الخصائص والسمات . ويتميز النمط بأن له صفة التكرار والتميز فى آن واحد ، ولا يشترط فى النمط التجاور المساحى ، بل يركز على التشابهات ، وإن تباعدت توزيعاتها . وعملية التنميط تعتمد على مجموعة من الصفات المتجانسة والمتسقة مع بعضها البعض .

وفى مجال دراسة صور للعشوائيات يثور تساؤل هام مؤداه : هل هناك تنميط لهذه الصور ، أم أن كلا منها يعتبر نمطا بذاته ؟ ويمكن القول إن صور العشوائيات تشكل كل صورة نمطا فريدا قائما بذاته بناء على الشكل العام .

وتعد محاولة تنميط المناطق العشوائية داخل المدن عملية بالغة التعقيد ، شديدة المحلية ؛ نظرا لوجود اختلافات شديدة وتباين فى السمات العامة لتلك المناطق . فعلى الصعيد العالمى ، وحتى على مستوى بلدان العالم الثالث ، نجد أن نمط سكنى المقابر يوجد فى مصر فقط ، وسكنى خانات القوافل القديمة فى عمان ، كما أن نمط سكنى الملاجئ التى تحتل أسطح العمارات لوحظ فى بيرو (الأزوتياAzoteas) ، ومعنى ذلك أن مثل هذه الأنماط تظهر على المستوى القومى فقط ، وليس على المستوى العالمى .

وتم تنميط الأماكن العشوائية فى مصر بناء على مجموعة من الأسس تتمثل فى عامل النشأة ، والشرعية (الشكل القانونى أو الرسمى) ، والالتحام الحضرى . ويمكن تقسيم المناطق العشوائية إلى قسمين : أولها المناطق العشوائية بفعل الزمن ، والتى تنقسم إلى إسكان رسمى وإسكان شبه رسمى ، وثانيها المناطق العشوائية منذ النشأة ، والتى تنقسم أيضا إلى إسكان رسمى (أكشاك الإيواء الحكومى) ، وإسكان غير رسمى (العشش والمقابر والمساجد وقوارب الصيد ... إلخ) ، وهذا التنميط يحتوى على الكثير من أشكال الإسكان العشوائى ، ويناسب التجمعات العمرانية فى البيئة المصرية ، وأن بعض الأنماط التى قد تظهر فى هذا التنميط قد تحتوى على أكثر من نمط فى وقت واحد ، ويتوقف ذلك على المساحة التى يشغلها النمط ، فمثلا النواة القديمة قد تضم بين أرجائها بعض العشش أو مساكن شعبية أو سكنى المخابئ والدكاكين والمساجد ، ونفس الأمر ينطبق على مناطق الزحف على الأطراف .

تشير الخريطة الإسكانية فى مصر إلى تنوع صور العشوائيات ، مع الوضع فى الاعتبار التنويعات الداخلية الخاصة بكل محافظة بناء على طبيعتها ، والنشاط الاقتصادى السائد فيها ، لذلك يمكن القول بأن السكن العشوائى يختلف فى صوره وأساليب بنائه وطبيعته ونوعية ساكنيه .

وفى إطار إيكولوچى فيزيقى يتخذ السكن العشوائى صورا متعددة منها : النويات القديمة ، والعشش ، والمقابر ، والأطراف المتريفة ذات الزحف على الأراضى الزراعية ، والمساكن الشعبية ، بالإضافة إلى بعض الأشكال الإسكانية المختلفة ، ويساعد التعرف على صور العشوائيات وأنماطها على معرفة النسق العمرانى ، والتى يمكن أن تبدو عليها تلك المناطق .

وسنعرض لبعض من صور هذه العشوائيات :

١ - النواة القديمة

تعد النواة القديمة للمدينة أحد أنماط السكن العشوائى داخل العمران الحضرى المصرى . وتعد النواة القديمة أحد الملامح الأساسية للمدينة المصرية بل والمدينة العربية . وتتميز النويات القديمة للمدن بنسيج تخطيطى يطلق عليه الكتل العمرانية التراكمية المتشابكة . والتى تبدو على شكل وحدة عمرانية مندمجة لايمكن فيها بيان الكيانات المستقلة للأحياء التى التصقت ببعضها البعض مكونة الهيكل العمرانى المندمج للنواة القديمة ، وتبدو فيها الطرق والشوارع على هيئة مسارات ملتوية غير منتظمة الاتجاه والطول والاتساع ، تتفرع منها الحارات الصغيرة والدروب والأزقة المسدودة . وتغلب على النواة القديمة الوظيفة السكنية ، وإن كانت الأنشطة التجارية التى توجد عادة أسفل المبانى السكنية تتركز على طول الشوارع الرئيسية والثانوية ، وتوابعها ، فتتناثر بصورة مفردة داخل الحارات . ويبدو الترابط والتفاعل الاجتماعى لسكان النواة القديمة فى إطار مجتمع الحارة الذى يتم التفاعل به فى إطار الجيرة والسوق والمقاهى ، وذلك على الرغم من التباين فى الشرائح الاجتماعية للسكان .

وقد مرت النواة القديمة للمدينة المصرية بعدة مراحل تطورية : حيث بدأت بمرحلة النشأة كنواة قديمة تمثل تراثا للماضى بكل ما تحتويه من خصائص كانت صالحة للوقت الذى أنشئت فيه من حيث ضيق الشوارع والحارات وتعرجها ، وظهور الأزقة والدروب والمبانى ذات المسقط الرأسى المنخفض والمشيدة من الحوائط الحاملة للأحجار والأسقف الخشبية ، وبحيث استطاعت فى هذه المرحلة أن تعنى باحتياجات ومتطلبات السكان .

ثم مرت بمرحلة التحضر التى شهدتها معظم المدن المصرية نتيجة للتوسع

الصناعى المركزى ، وظهور تيارات الهجرة من الريف إلى المدن . ومثلت أحياء النواة القديمة مناطق الاستقبال المفضلة لدى المهاجرين لملاءمتها لظروفهم الاقتصادية والاجتماعية . وإزاء المرحلة السابقة دخلت النواة إلى مرحلة التشبع والنزوح إلى الضواحى ، حيث يضطر السكان الأصليون بداخلها إلى النزوح لأطراف المدن ، يساعدهم فى ذلك أن الحياة داخل النواة القديمة وما حولها أصبحت مستحيلة ، ولا تناسب دخولهم ، وتتعاقب عليها أجيال من المهاجرين يحل فيها جيل قادم من الريف محل جيل نازح من الطبقة الوسطى الحضرية ، فيؤدى ذلك إلى تريف الحياة الحضرية بالنواة لسيادة خصائص مصادر السكان المهاجرين .

ومع استمرارية المرحلة السابقة – وهى مرحلة التشبع – تدخل النواة مرحلة التفكك والتدهور الحضرى ، حيث ترتفع أسعار الأراضى داخل أحياء النواة القديمة لأنها ستمثل منطقة وسط المدينة ، فضلا عن انخفاض القيمة الإيجارية للوحدات السكنية ، كما تشهد هذه المرحلة إخفاق جميع محاولات التحكم فى استخدام الأرض تحت وطأة الضغط السكانى المتزايد ، ومن سمات هذه المرحلة أيضا تهالك وتدهور وتهدم كثير من المنازل القديمة .

وعلى الرغم من طول المدة الزمنية التى يستغرقها تكون النواة القديمة داخل المرحلة السابقة ، فإنها ماتلبث أن تدخل مرحلة أخرى هى الإحلال والتجديد .

٢ - العشش

تعد العشش ومدن الصفيح حالة ترتبط بعدة معطيات قد تجعلها تنقلب من ظاهرة إلى مقياس ، فمدى انتشارها قد يكون مؤشرا أو مقياسا لقياس مجموعة

من المعطيات التى تميز أداء الدولة ، كما تعد العشش ومدن الصفيح تعبيرا مأساويا عن التحولات الاقتصادية والاجتماعية التى تعمل داخل الكيان البشرى ، كما أنها تعبر عن أسوأ حالات الظاهرة الحضرية . وتعد العشش من ناحية المستوى العمرانى أدنى المراتب السكنية .

وابتداء من الستينيات ظهرت فى مصر تراكمات النمو السكانى فى المرحلة الانفجارية السكانية التى بدأت منذ عام ١٩٤٧ ، وظهر عجز سوق السكن عن الوفاء بمتطلباته ، ونجحت شريحة اجتماعية من التى تأثرت بالنمو السكانى المتراكم فى حل مشكلتها الإسكانية حلا فرديا بالسيطرة على أراضى المنافع العمومية ، وذلك فى غيبة القانون والهيئات التنفيذية لتكون فى النهاية تجمعات من العشش على نحو غير منتظم ، ومفتقر إلى الحد الأدنى فى مقومات السكن الملائم .

وغالبا ما تنشأ العشش فى المناطق الصناعية ، أو فى زمام الترع والمصارف ، أو على ضفاف نهر النيل ، أو على محاور السكك الحديدية ، أو فى المناطق الأثرية وأراضى الوقف .

وتتعدد أنماط العشش تبعا لمادة البناء ، حيث تبنى عادة من الخشب والكرتون أو الخرق أو الصاج أو الطوب اللبن ، وأحيانا تجمع ما بين القطع الخشبية القديمة والغاب ، وتارة أخرى ما بين الصفيح والكرتون ، وتارة ثالثة ما بين الصاج والخيش ، ويعكس تفوق أحد العناصر المكونة لمادة البناء الحالة الاقتصادية لسكان العشش .

وسكنى العشش والأكواخ لايوفر إلا قدرا ضئيلا من الخدمات والمرافق لسكانه بالمقارنة بالصور الأخرى من العشوائيات ، حيث إن السمة العامة تتمثل فى عدم وجود مياه شرب نقية ، وانعدام شبكات الكهرباء ، وعدم وجود صرف

صحى ، إلا أن السكان يحاولون التغلب على ذلك ببعض الطرق .

أما التركيب الداخلى للعشش ، فإن وحدات العشش تتراوح فى مساحتها بين النمط البسيط الفقير الذى يتكون من غرفتين منفصلتين ، والنمط البسيط الأكبر نسبيا الذى يتكون من ثلاث غرف صغيرة ومنافعها ، فضلا عن نمط أقرب إلى المسكن الريفى . وتتراوح مساحة العشة ما بين مترين فى العرض ومترين ونصف فى الطول ، وفى مناطق أخرى تزيد إلى ثلاثة أمتار ، ويمكن إضافة غرفة إضافية فى حالة الأسر كبيرة العدد . وهناك بعض الأسر تقسم العشة الكبيرة إلى نصفين : أحدهما للنوم ، والآخر للمعيشة ، وإن كان هذا ترفا لايحظى به الكثير الذين يجمعون ما بين النوم والطبخ والاستحمام والمعيشة فى نفس حيز العشة .

٣ - المقابر والأحواش

تعد المقابر إحدى المناطق الوظيفية بالمدينة ، والتى تقدم وظيفة دفن الموتى ، ولكن أن يزاحم الأحياء الموتى فى مناطقهم فتعد هذه ظاهرة فريدة لاتوجد فى أية مدينة فى العالم إلا فى مدينة القاهرة .

والوضع فى نمط سكنى المقابر يختلف عن مثيلة فى نمط سكنى العشش ، فقد قام **الأول** بالتعدى على صورة من صور استخدامات الأراضى تقوم بوظيفة صحية لدفن الموتى ، أما النمط **الثانى** فكان التعدى على فضاءات وأراضٍ تقوم بوظائف تكميلية ، مثل عمليات تطهير الترع والمصارف ، وأعمال صيانة السكك الحديدية ، والوقاية من حوادث القطارات .

ويمكن التمييز بين نمطين أساسيين من المقابر : فهناك مقابر الشواهد ، وهناك مقابر الأحواش ، ولعل التفنن فى الأخيرة فى المبانى والنقوش والاتساع هو الذى أغرى سكناها . وقد تم تقسيم المقابر الرئيسية المأهولة بالسكان –

والتى تمثل بؤرا عشوائية فى مدينة القاهرة من الناحية الجغرافية – إلى ثلاث مجموعات : أولاها مقابر جنوب وجنوب شرق المدينة ، والتى تعد أضخم متصل من المقابر ، وتضم جبانات : البساتين والتونسى ، والإمام الليثى ، والإمام الشافعى ، والسيدة نفيسة . وثانيتها مقابر وسط شرق المدينة ، وتضم من الجنوب إلى الشمال جبانات : باب الوزير والمجاورين ، والقرافة الشرقية للمسلمين ، وقايتباى ، والغفير ، وباب النصر . أما ثالثتها فهى الجبانات الحديثة التى تقع شمال شرق المدينة ، وتضم جبانات : مصر الجديدة ، وعين شمس ، ومدينة نصر ، وهى تمتاز بالتشتت وعدم الاتصال ، كما أن الغزو البشرى بها مازال محدودا للغاية .

ويضم إسكان المقابر بعض الصور الأخرى ، لعل أولاها هى المناطق السكنية المتداخلة مع الجبانات ، والتى نتجت عن الزحف العمرانى فى اتجاه المقابر والتداخل معها دون وجود فاصل واضح ، ويتضح ذلك فى مناطق القادرية ، وعرب قريش وعرب اليسار بميدان السيدة عائشة ، وكذلك منطقة باب الوزير ، والبساتين ، فضلا عن جبانات باب النصر والتى التفت حولها الأحياء السكنية واحتوتها تماما . أما ثانيتها فهى صورة التجمعات السكنية داخل مناطق الجبانات ، وقد أنشئت هذه الجزر على المساحات الفضاء داخل الجبانات ، فضلا عن تحول بعض الجبانات فى الأعوام الأخيرة إلى مناطق سكنية ، وتحويل الأحواش بها إلى مساكن وتعليتها رأسيا والبناء فى الفراغات الواقعة بينها ، وتظهر هذه الجزر السكانية وسط المقابر (منطقة الإمام الشافعى حول المسجد ، ومنطقة التونسى والإمام الليثى ومنطقة سيدى عقبة والخارطة القديمة ومنطقة قايتباى وبرقوق) ، وقد ساعدها على ذلك تدخل الدولة بشكل مباشر فى إنشاء وحدات للتنظيمات السياسية داخل تلك المناطق ، إلى جانب

سرعة اندماج تلك التجمعات فى النسيج الحضرى عن طريق شبكة الطرق الحضرية والمواصلات العامة والمد بالمرافق العامة .

٤ - الجيوب الريفية وسط التجمعات الحضرية المخططة

أصبحت القرى التى تلاحمت مع المدينة فى نموها تجاه الخارج ضمن مناطق المدينة وجزءا من نسيجها العمرانى ، وأحد أنماط السكن العشوائى داخل المدن المصرية . غير أن هناك فرقا بين نمط سكنى متدهور يقوم على التحام القرى مع المدينة بفعل النمو العمرانى للمدينة والقرى فى وقت واحد ، مما يظهر الأطراف المتريفة من ناحية ، وبين نمط سكنى متدهور يقوم على ابتلاع (احتواء) المدينة للقرى بفعل نمو المدينة دون أدنى حركة عمرانية من تلك القرى من ناحية أخرى ، ومن ثم ظهرت النويات الريفية الحضرية والتى كانت سابقة للعمران الحضرى ومستقلة عنه تماما .

وهذا النمط من أنماط السكن العشوائى فى المدينة يعتمد فى ظهوره على دينامية احتواء المدينة للقرية وجعلها ضمن نسيجها العمرانى ، مع الوضع فى الاعتبار أن حركة النمو العمرانى للمدينة تتم بصورة مخططة وسريعة لتبتلع تلك القرى ، دون أن تنمو تلك التجمعات الريفية إلى أن تصبح جزءا من النسيج العمرانى الحضرى ، ولكن ذات واقع عمرانى يتميز بالانفرادية والانعزالية والازدواجية ، وعدم التوافق مع البيئة العمرانية والاجتماعية والاقتصادية المحيطة بها ، وإحساس سكانها بأنهم يعيشون على حواف الأحياء الراقية المخططة ، ولكن لديهم شعورا بأنهم منعزلون عنهم اجتماعيا وثقافيا .

وفى مصر لعبت عمليات تقسيم الأراضى وازدهار السوق العقارية – خاصة فى الضواحى – دورا فى ظهور هذا النمط من أنماط السكن المتدهور ، فازدهار السوق العقارية فى الربع الأول من القرن العشرين ، وتدفق رءوس

الأموال الأجنبية ، ومتانة مركز مصر المالى والاقتصادى شجع على إنشاء بعض الضواحى (المعادى ، ومصر الجديدة ، والدقى ، وحدائق القبة) ، وتصاعد حركة الإنماء العقارى داخل تلك الضواحى أدى إلى احتوائها لبعض الجيوب الريفية القديمة .

والشكل العمرانى لتلك الجيوب الريفية العشوائية داخل النطاق الحضرى هو عبارة عن جزر قروية تناضل من أجل البقاء ، كما أن الكتلة المبنية القديمة انتقلت من بيئتها الزراعية إلى بيئة سكنية محاطة بمبانى مدينة طاغية ابتعلت أراضيها الزراعية وقسمتها وحولتها إلى مبان .

وهناك صور أخرى للعشوائيات ، منها : الزحف على الأراضى الزراعية ، والإسكان الحكومى المتدهور (المساكن الشعبية) ، ومناطق وضع اليد ، مع وجود عدة أشكال أخرى منها : إسكان قوارب الصيد ، ومناطق الإيواء ، وإسكان الدكاكين ، وإسكان المخابىء ، وإسكان المساجد ، وإسكان مناور السلالم ، وإسكان الأسطح فى الأحياء الراقية ، وسكنى الوكالات القديمة .

خامسا : المضمون الاجتماعى الثقافى للعشوائيات

يساعد المضمون الاجتماعى الثقافى للعشوائيات على تحليل التفرقة بين الأحياء القديمة والأحياء المتدهورة والأحياء العشوائية ، نظرا للتداخل الشديد بينها فى التعريف ، كما يهتم بدراسة الفقر داخل هذه الأحياء ، وخاصة داخل الأحياء العشوائية مع مقارنتها بثقافة الفقر فى المجتمع المصرى ، وتوضيح لثقافة العشوائيات ومدى تطابقها أو اختلافها مع الثقافة العامة للمجتمع .

١ - التداخل فى المفاهيم

غالبا ما يحدث خلط يؤدى إلى تداخل المفاهيم ، فنستخدم الأماكن العشوائية

على أنها أحياء شعبية أو أحياء قديمة أو أحياء عشوائية ، لذا يجب التحديد للتفرقة بين الأحياء الشعبية القديمة والتى حققت الجانب الأكبر من نموها عبر قرون مضت ، وخلال مراحل معينة من تاريخها ، كانت تمثل هذه الأحياء مقرا للصفوات الحاكمة ، إلا أنها تعرضت للإهمال والتدهور الحضرى من ناحية ، وغزو فقراء المدينة لها من ناحية أخرى ، ووصلت أقصى درجات تدهورها خلال القرن العشرين .

أما العشوائيات – وغالبا ما يطلق عليها الأحياء المتخلفة – فهى أحياء حديثة النمو ، حققت الجانب الأكبر من نموها العمرانى بعد عام ١٩٦٠ ، وطابع هذا النمو هو العشوائية وسوء التخطيط ، ومعظمها يقع على أطراف القاهرة .

٢ - مفهوم ثقافة الفقر وارتباطه بثقافة العشوائيات

من الآراء التى اكتسبت شعبية واسعة ذلك الرأى القائل بأن هناك ثقافة فقر متميزة ذات صفات مشتركة ، بغض النظر عن المجتمع الذى يوجد فيه هذا الفقر . وتدين هذه الفكرة بوجودها – إلى حد كبير – لأعمال "أوسكار لويس" التى أجراها فى بداية الأمر على الأحياء المتخلفة فى مكسيكو سيتى ثم فى بورتوريكو ، ثم بين أبناء بورتوريكو الذين يعيشون فى مدينة نيويورك .

وقد ميز لويس بين الفقر وثقافة الفقر ، وحاول أن يفهم الفقر وما يصاحبه من سمات كثقافة ، فهو لا ينظر إلى الفقر كحالة اقتصادية ، وإنما كثقافة تنتقل بين الأجيال عن طريق التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة ، وفى ضوء هذا المفهوم لا ينظر إلى الفقر من خلال الحرمان الاقتصادى ، وإنما ينظر إليه كثقافة تساعد الفقير على التكيف مع ظروف الحرمان الاقتصادى .

ولعل ثقافة الفقر القاهرية لها بعض الخصوصية فى التعايش معها . فعلى مستوى التعليم تحاول الأسرة التكيف مع غلاء نفقات التعليم باللجوء إلى

مجموعات التقوية فى المساجد والكنائس كبديل للدروس الخصوصية . وفى العلاج تعتمد كثير من الأسر – وخاصة النساء فى شرائح الدخل المنخفض – على الوصفات الشعبية فى العلاج ، والاعتماد على العيادات والمراكز الصحية الملحقة بالمساجد والكنائس ، إضافة إلى اللجوء لنظام التأمين الصحى لأطفال المدارس .

إن أبرز ما يميز ثقافة الفقر فى المجتمع المصرى هو محاولة التعامل مع الوضع الاقتصادى المتدنى من خلال عدة أساليب تنتشر فى الثقافة التقليدية ، وخاصة بين النساء . فهناك "الجمعية الشهرية الدوارة" ، وهى الوسيلة التى من خلالها تحاول المرأة توفير نفقات المعيشة بشكل أقرب إلى الاستدانة الجماعية بصورة من الصور ، وكذلك تعتمد الأسر الفقيرة على مساعدات أهل الخير .

العشوائيون وثقافة العشوائيات

لقد تم تصنيف نصف القاهرة والجيزة والمناطق المجاورة حتى أوائل التسعينيات مابين مناطق فقيرة ، وفقيرة جدا ، ولا غرابة فى ذلك فملايين القاهريين استغرقهم البحث عن لقمة العيش والمسكن والملبس حتى أصبحوا جزءا من اقتصاد ومجتمع العشوائيات ، ولهذا يجد القاهريون أنفسهم أمام خيارين : إما أن يزيدوا من موارد دخلهم ، وإما أن يقللوا من استهلاكهم . وهكذا يضطر الرجال إلى المكوث ساعات أطول بالعمل ، كما تضطر النساء والأطفال إلى العمل أيضا ، ويلجأ بعضهم إلى بيع متعلقاتهم الشخصية ، فى حين يلجأ البعض الآخر للتسول أو الدعارة .

ولضغط نفقات المعيشة يلجأ البعض للعيش مع أقاربهم ، ويشترون الطعام ذا الجودة الأقل ، والملابس المستعملة ، كما يقومون بتقليل عدد الوجبات إلى

اثنتين وأحيانا واحدة ، ولقد أصبح هذا من الأمور المعتادة فى القاهرة ، كما فى نيودلهى ومانيلا ، وريودى جانيرو .

ومن السمات التى تميز هؤلاء استخدامهم لاستراتيجية الاستيلاء بطريقة غير ملحوظة على كل مايرونه حقا لهم ، فإذا ما أراد الفقير توفير الكهرباء سرقها من المحليات ، وإذا أراد رفع مستوى معيشته طالب رئيسه بعلاوة . وللهروب من ارتفاع الإيجارات نجد أن معظم النازحين وقاطنى المدن من الفقراء يقومون بالاستيلاء على بعض أراضى الدولة وبعض المقابر على حدود القاهرة ، ثم يقومون بإنشاء مجتمعات كاملة مستقلة بذاتها .

وفى مجال العمالة نجد الباعة الجائلين الذين يعتمدون فى رزقهم على الشارع ، وقد شغلوا الأرصفة فى مناطق مثل : الموسكى ، والحسين ، والسيدة زينب . وبذا اتسع مفهوم العشوائية لينضوى تحته ليس فقط الذين يتهربون من الضرائب أو اللوائح ، وإنما أيضا الذين يستفيدون من عائد بيع البضائع المهربة .

تحليل ساكنى العشوائيات فى ضوء ثقافة الفقر

يعرف ساكنو العشوائيات بأنهم سكان الأحياء المتخلفة العشوائية ، ويقيمون فيها منذ فترة طويلة ، بحيث شكلت الأسر فيها أجيالا متعاقبة ، عادة يمارس أرباب الأسر أعمالا هامشية (ساعى ، بائع متجول ، بائع أرزقى) ، وغالبا مايرتبط مكان السكن بمكان العمل .

ويمكن مقارنة ثقافة الفقراء بثقافة ساكنى العشوائيات من خلال تقسيم ساكنى العشوائيات إلى ثلاثة أنماط : النمط المرتفع ، وفيه يحصل السكان على قدر من التعليم المتميز ، وأحيانا يكون السكن فيه شقة مستقلة ، والزواج بواحدة

مع وجود تماسك أسرى ، ووجود علاقات اجتماعية ، واهتمام ببعض القضايا (لكنها لا تصل لحد المشاركة السياسية)، وهذا النمط للفقراء العشوائيين يدحض ماقال به أنصار المدخل الثقافى فى دراسة الفقر الذين يرون الفقراء كسالى لايتغيرون حتى لو تغيرت الظروف المحيطة بهم ، كما لا تتأكد فيه سمات ثقافة الفقر ، فلا توجد بطالة شديدة ، ولا قدرية ، ولا استسلام للواقع ، مع تماسك أسرى ، فلا هجر للزوجة ، ولا ممارسة عنف من قبل الرجال . أما أصحاب النمط المتوسط فهم حاصلون على قدر من التعليم المتوسط ، ويتنوع السكن بين المستقل والمشترك ، ويكون الزواج فى الغالب بزوجة واحدة ، وإن ارتفع عدد الأطفال فيه ، والإنفاق فيه غير محدد ، وتلعب المجاملات والمساندات الاجتماعية دورا فى هذا النمط . أما النمط المتدنى فالسكان عادة أميون يلجئون إلى الأعمال الهامشية ، وأحيانا يلجئون إلى الاقتراض ، ويسود بينهم الشراء بالتقسيط ، والمسكن غرف مستقلة ، أو بيت كبير مكون من عدة غرف ، مرافقه أحيانا مستقلة وأحيانا مشتركة . والعلاقات الاجتماعية مفتوحة جدا ، خاصة علاقات الجيرة بين النساء اللائى يقضين معظم الوقت فى الجلوس أمام المنزل وتبادل الحديث عن الجارات الأخريات ، وتلعب الإعانات والزكاة والمساعدات الخارجية والمعاشات وإسهامات أهل الخير دورا هاما فى هذا النمط .

وفى ضوء ماسبق ، طرح سؤال مؤداه : هل لساكنى العشوائيات ثقافة خاصة بهم ؟ والاجابة هى أن ساكنى العشوائيات هم جزء لايتجزأ من سكان المجتمع المصرى بثقافته العامة ، وأنه ليس بالضرورة أن يكون كل ساكنى العشوائيات فقراء ، وإذا كان البحث الحالى يدرس العشوائيين بصفة عامة ، ففقراء العشوائيات هم أولى بالدراسة .

سادسا : آليات التكيف وصور الانحراف بالعشوائيات

تناولت هذه القضية توضيحا لآليات التكيف ، وصور الانحراف داخل المناطق العشوائية من خلال بعدين : تناول الأول الظروف النوعية لانتقال السكان للإقامة فى هذه المناطق ، وأوضح الثانى نوعية الحياة فى المناطق العشوائية بين آليات التكيف وصور الانحراف .

١- الظروف النوعية لانتقال السكان للإقامة بالعشوائيات

تناول هذا البعد تأثير الهجرة الريفية الحضرية على نمو المناطق العشوائية ، وأن لجوء السكان إلى سكن المناطق العشوائية إنما هو انعكاس للأزمة الحضرية الناتجة عن التحضر السريع ، ويعزز ذلك بعض الأمثلة فى دول العالم والدول العربية التى لعبت فيها الهجرة الريفية الحضرية دورا فى نشأة العشوائيات تساندها عوامل أخرى ، مثل تهالك الأبنية القديمة والآيلة للسقوط .

أما بالنسبة لمصر ، فقد شهدت خلال الستينيات تغيرات اقتصادية بفعل اتساع حركة التصنيع ، وتحسن البنية الأساسية والظروف المعيشية فى المدن ، الأمر الذى أدى إلى تزايد تيار الهجرة من الريف إلى الحضر بحثا عن فرص العمل والخدمات . وصاحب هذا التيار تهجير سكان مدن القناة بعد نكسة ١٩٦٧ ، ونتيجة لعدم توافر الإمكانات الإسكانية والمالية لاستيعاب هذه الأعداد اضطر الكثير منهم إلى اللجوء إلى أطراف المدن لبناء مساكنهم بأنفسهم .

ومع منتصف السبعينيات ، وفى ظل سياسة الانفتاح الاقتصادى ، وظهور مناطق صناعية وتجارية جديدة على محاور الاتصال الرئيسية بين المراكز الحضرية الكبرى ، مثل القاهرة والاسكندرية من ناحية ، وبين المدن المتوسطة من ناحية أخرى ، جذبت تلك المناطق أعدادا هائلة من العمالة الريفية لم يستطع القطاع الصناعى استيعابها ، مما أدى إلى ظهور القطاع الاقتصادى

الهامشى ، حيث لجأ هؤلاء النازحون إلى إقامة تجمعات عشوائية على أطراف المدن ، والاشتغال بالأنشطة الاقتصادية الهامشية فى تلك الأماكن .

ولقد كان لسياسات إعادة الهيكلة الرأسمالية فى فترتى الثمانينيات والتسعينيات انعكاساتها السلبية مما أحدثته من اختلالات واضحة فى توزيع الدخول وزيادة نسبة الفقراء والمعدمين ، وانعكس تأثير انخفاض معدل الاستثمار العام على تأخر ترتيب مشكلة الإسكان فى سلم الأولويات العامة ، وكان الأمل معقودا على القطاع الخاص لحل مشكلة الإسكان ، غير أنه تقاعس عن القيام بهذا الدور ، ومن جانب آخر أدى تقلص دور التخطيط العمرانى إلى انتشار السكن العشوائى ، حيث اصطدمت عملية التخطيط العمرانى فى مصر بغياب منهج متكامل للتنمية العمرانية بالاتجاه الرسمى للدولة نحو إنشاء العديد من المدن الجديدة التى لم تجتذب إلا عددا محدودا من السكان . وكذلك تمويل الإسكان المتوسط والفاخر والذى لا يسد احتياجات الشريحة الكبرى من المجتمع ، وهى شريحة محدودى الدخل . ومن ثم فقد لجأت بدورها إلى البديل المتاح أمامها ، وهو إقامة السكن العشوائى الذى يناسب ظروفها الاقتصادية ، حيث يبلغ متوسط ما تدفعه الأسرة للإيجار فى المناطق العشوائية إلى ما لا يتجاوز ٣٠٪ من دخلها ، فى حين يتجاوز القسط الشهرى للوحدة السكنية فى نمط الإسكان منخفض التكاليف الذى أقامته الدولة لمحدودى الدخل سبعين جنيها شهريا ، ومن ثم فالإسكان العشوائى فى قلب المدن أو على أطرافها يقدم بديلا أكثر ملاءمة بالمقارنة بما تقدمه الدولة .

٢ - نوعية الحياة بين آليات التكيف وصور الإنحراف

أجمعت الدراسات التى تناولت قضية العشوائيات إلى تدنى نوعية الحياة لدى سكان المناطق العشوائية ، وهناك العديد من المؤشرات التى تسهم فى تشكيل

هذا التدنى ، مثل : البيئة الفيزيقية ، والمسكن ، وحجم الأسرة ، والمستوى التعليمى ، والنسق المهنى ، والدخل ، ودرجة التماسك الاجتماعى ، ودرجة الإحساس بالرضا . وسنعرض لبعض من هذه المؤشرات .

أ – البيئة الفيزيقية

ساد الحديث عن المناطق العشوائية باعتبارها غير مخططة عمرانيا ومحرومة من الخدمات والمرافق الأساسية – كهرباء وصرف صحى – وشوارع ضيقة للغاية ، فهى بمثابة حارات أو دروب أو أزقة ضيقة ، مما يؤدى إلى صعوبة دخول المواصلات العامة بها ، وهذا النمط الفيزيقى يمكن أن يجعل منها بيئة خصبة للانحراف بصوره المختلفة من ارتفاع لمعدلات الجريمة ، وإيواء الخارجين على القانون ، إلى جانب الاتجار فى المخدرات وتعاطيها .

ب – المسكن

كانت السمة الغالبة لمساكن المناطق العشوائية هى تدن فى تلك المساكن ، حيث لا تخضع فى بنائها لأى نوع من التخطيط أو التنظيم ، وتتباين بشدة فى مواد البناء المستخدمة ، كما أن تلك المساكن تتفاوت من حيث المساحة ، ومدى توافر الخدمات بها ، إضافة إلى التكدس السكانى ، وارتفاع معدل التزاحم داخل المسكن ، وانتشار ظاهرة السكن الشرك . ولا شك أن افتقاد الأسرة خصوصيتها واستقلالها يؤدى إلى كثير من المشكلات الاجتماعية المرتبطة بتنشئة الأبناء ، وتشجع قسوة الحياة بهذه المناطق على العنف فى المعاملة ، وشيوع حالة من التربص المستمر بين أفراده من ناحية ، وبينهم وبين المجتمع الأكبر من ناحية أخرى .

جـ - حجم الأسرة

أشارت الدراسات إلى ارتفاع حجم الأسرة بالمناطق العشوائية مقارنة بمتوسط حجم الأسرة فى المجتمع العام ، وقد أرجع البعض ذلك إلى انتشار الأمية ، وضعف الوعى بقضايا المجتمع ، وشيوع قيم اللامبالاة ، كما أرجعه البعض الآخر إلى أن الأبناء فى الطبقات الفقيرة يمثلون مصدر دخل للأسرة بخروجهم إلى العمل فى سن مبكرة .

وكانت هناك أسباب أخرى ، منها عدم الحصول على الرعاية الصحية التى تجعلهم عرضة للأمراض ، مما ينجم عنه ارتفاع فى معدل الوفيات ، وخاصة وفيات الرضع ، فتلجأ الأسرة للتعويض بمزيد من الإنجاب .

د - المستوى التعليمى

أكدت الدراسات التى أجريت على المناطق العشوائية على ارتفاع معدلات الأمية ، حيث لا يوجد فى معظمها مدارس ابتدائية ، كما أن كثيرا من الأسر لا تهتم بتعليم أبنائها لتفضيلها خروجهم إلى العمل فى سن صغيرة ، خاصة وأن العملية التعليمية أصبحت مكلفة ، ما بين الرسوم المدرسية والأدوات المدرسية والدروس الخصوصية ، بالإضافة إلى تكلفة الانتقال إلى خارج المنطقة للذهاب إلى المدرسة .

هـ - الدخل

أوضحت بعض الدراسات التى أجريت على العديد من المناطق العشوائية أن هناك مستويات اقتصادية متباينة داخل المناطق العشوائية ، بل إن منهم من يحصلون على دخول مرتفعة أو متوسطة فى بعض الأحيان ، إلا أن هذا الارتفاع لا يغير كثيرا من نوعية الحياة لهذه الفئة . فبرغم امتلاكهم لكثير من الأجهزة

الكهربائية والسيارات الخاصة فى بعض الأحيان إلا أن نوعية حياتهم لا تزال تتسم بطابع نوعية حياة سكان المناطق العشوائية التى يقيمون فيها .

خاتمة

هدف هذا البحث إلى تقديم رؤية نظرية متكاملة لقضية العشوائيات فى المجتمع المصرى ، من خلال عدة أبعاد تناولت تأريخا للعشوائيات ، ثم تشخيصا واقعيا للظاهرة ، وتوضيحا لصور العشوائيات وأنماطها ، فضلا عن الإشارة للمضمونين الاجتماعى والثقافى ، وأخيرا التعرف على آليات التكيف وصور الانحراف .

ولعل البحث فى جذور قضية العشوائيات ، وتلمس أبعادها ، وتحليل صورها وأنماطها ، ودراسة مضامينها المتعددة هو السبيل المضمون لاقتراح أساليب علمية قويمة لمعالجة شاملة لها ، آخذة فى اعتبارها كافة الأبعاد والمتغيرات .

وتحتاج المادة العلمية التى احتواها هذا البحث دوما إلى اختبار فى الواقع العلمى لظاهرة تنامى العشوائيات فى المجتمع المصرى ؛ وذلك للتعرف على مدى صلاحية معطياتها ، وصدق مقولاتها فى دراسة العديد من صور العشوائيات وأنماطها ، بما تحويه من تفاوتات واختلافات ، وما تجسده من مشكلات ترتبط بحياة البشر فى تلك المناطق التى يقطنونها .

Abstract

SQUATTER SETTLEMENTS IN THE EGYPTIAN SOCIETY
Theoretical View

Soad Abd Rahim

This research is a theoretical framework of the study of the phenomenon of squatter settlements in the Egyptian society.

The study includes various observations based on a number of cases relating to the development of the phenomenon of squatter settlements. It focuses on the history of their establishment, and describing them within their social and cultural context.

The study also presents the adaptation processes and the incidence of delinquency which occur within the squatter setllements.